

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ودوره في تعزيز العقيدة الإسلامية ومواجهة التحديات

الفكرية المعاصرة في إقليم كردستان

أحمد قادر رشيد

بإشراف: أ- د- خالد أحمد مصطفى

الجامعة السليمانية كلية العلوم الإسلامية قسم أصول الدين

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضبطه ضبطاً عقدياً ومنهجياً، مع دراسة تطبيقية لنموذج خلق الإنسان، وبيان أثر ذلك في تعزيز العقيدة الإسلامية ومواجهة بعض التحديات الفكرية المعاصرة. اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان، والمنهج التحليلي في دراسة دلالاتها العقدية في ضوء أقوال المفسرين والمعطيات العلمية المستقرة، مع الالتزام بالضوابط الشرعية والمعرفية في توظيف العلم الحديث في فهم النص القرآني. وتوصل البحث إلى أن الإعجاز العلمي، متى ما استُخدم استخداماً منضبطاً، يُعد وسيلة مهمة في تقوية اليقين بصدق الوحي، وتعزيز الإيمان لدى الشباب، دون أن يكون بديلاً عن الأدلة الشرعية القطعية أو مدخلاً لتحميل النصوص ما لا تحتمل. الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي - خلق الإنسان - العقيدة الإسلامية - الآيات الكونية - المنهج العقدي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. يُعد القرآن الكريم المصدر الأول للعقيدة الإسلامية، وقد تضمن من الآيات والدلائل ما يخاطب العقل والوجدان معاً، ويؤسس الإيمان على أسس يقينية راسخة. ومن جملة هذه الدلائل ما اصطُح عليه في الدراسات المعاصرة بـ«الإعجاز العلمي في القرآن»، والذي يُقصد به إظهار وجوه من التوافق بين النصوص القرآنية الثابتة وبعض الحقائق العلمية المستقرة، بما يدل على سبق القرآن للمعرفة البشرية، ويؤكد مصدره الإلهي. وقد برز الاهتمام بالإعجاز العلمي في العصر الحديث في ظل التحديات الفكرية المعاصرة، ولا سيما النزعات الإلحادية والمادية، ومحاولات الفصل بين الدين والعلم، وما ترتب على ذلك من تشكيك بعض الشباب بمرجعية الوحي وقدرته على مواكبة التقدم العلمي. غير أن هذا الاهتمام صاحبه أحياناً توسع غير منضبط، أفضى إلى تحميل النصوص القرآنية دلالات علمية ظنية، وربط صدق الوحي بنظريات قابلة للتغير، الأمر الذي استدعى ضرورة المعالجة العلمية المنهجية لهذا الموضوع، خصوصاً من زاوية عقدية. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة الإعجاز العلمي دراسة عقدية تحليلية، من خلال نموذج خلق الإنسان، بوصفه من أكثر النماذج حضوراً في الخطاب القرآني، وأكثرها دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته، مع بيان الضوابط المنهجية التي يجب مراعاتها في هذا الباب.

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية البحث في السؤال الآتي: كيف يمكن توظيف الإعجاز العلمي في خلق الإنسان توظيفاً عقدياً منضبطاً يُسهم في تعزيز العقيدة الإسلامية، دون الوقوع في الغلو أو تحميل النصوص القرآنية ما لا تحتمل؟

أهداف البحث

1. بيان مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن وضبطه ضبطاً عقدياً.
2. إبراز بعض وجوه الإعجاز العلمي في خلق الإنسان في ضوء النصوص القرآنية والمعطيات العلمية المستقرة.
3. بيان أثر الإعجاز العلمي في تعزيز العقيدة الإسلامية ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان، والمنهج التحليلي في دراسة دلالاتها العقدية في ضوء أقوال المفسرين والمعطيات العلمية المستقرة.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن وضوابطه المنهجية

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي

يقصد بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم إخباره بحقائق كونية أو إنسانية لم تكن معروفة زمن التنزيل، ثم ثبتت صحتها لاحقاً بوسائل العلم الحديث، على وجه يدل على أن مصدر القرآن وحيّ إلهي. ولا يعني ذلك أن القرآن كتاب علوم تجريبية، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، جاءت إشارات الكونية ضمن سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

المطلب الثاني: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي

يفترق الإعجاز العلمي عن التفسير العلمي في أن الأول يقتصر على بيان سبق القرآن إلى الإشارة المجملة الدقيقة إلى حقيقة علمية مستقرة، في حين قد يتوسع التفسير العلمي في تحميل النصوص دلالات نظرية أو فرضيات لم تستقر، وهو ما يُوقع في إشكالات منهجية وعقدية.

المطلب الثالث: الضوابط المنهجية للإعجاز العلمي

لتحقيق الاستفادة العقدية من الإعجاز العلمي، لا بد من الالتزام بجملة من الضوابط، من أهمها:

١. عدم تحميل النص القرآني ما لا يحتمله من الدلالات اللغوية.
٢. الاقتصار على الحقائق العلمية القطعية دون النظريات الظنية.
٣. عدم تعليق صدق القرآن أو العقيدة الإسلامية على نتائج علمية قابلة للتغير.
٤. مراعاة مقصد القرآن الأساس في الهداية والتذكير لا مجرد الإخبار العلمي.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الإنسان (دراسة تطبيقية)

المطلب الأول: أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. تشير هذه الآيات إلى مراحل متتابعة في خلق الجنين، وقد تناولها المفسرون بالشرح وفق دلالاتها اللغوية، مع اتفاقهم على أن الخلق يتم بتقدير إلهي محكم. وتؤكد الدراسات الطبية الحديثة أن الجنين يمر بمراحل متعاقبة تتوافق - من حيث الجملة - مع هذا الترتيب القرآني، دون تعارض.

الدلالة العقدية

تؤكد هذه الآيات قدرة الله تعالى وحكمته، وتتفي دعوى الصدفة والعشوائية في نشأة الإنسان، وهو ما يعزز الإيمان بالخالق سبحانه.

المطلب الثاني: إحكام الخلقة وتناسق الوظائف

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. تشير الآية إلى إحكام الخلقة وتناسقها، وهو ما تؤكد العلوم الطبية الحديثة في وصفها لدقة أجهزة الجسم الإنساني وتكامل وظائفها، بما يدل على الإتقان في الخلق.

المبحث الثالث: الأثر العقدي للإعجاز العلمي في تعزيز العقيدة

يسهم الإعجاز العلمي - إذا استُخدم استعمالاً منضبطاً - في:

١. تقوية اليقين بصدق الوحي الإلهي.
 ٢. مخاطبة العقل المعاصر بلغة يفهمها دون الإخلال بثوابت العقيدة.
 ٣. نفي دعوى التعارض بين الدين والعلم.
- غير أن هذا الأثر مشروط بعدم جعله الدليل الوحيد على صحة العقيدة، بل وسيلة مساندة للأدلة الشرعية القطعية.

المبحث الرابع: مناقشة أبرز الاعتراضات المعاصرة

الاعتراض الأول: تغيير النظريات العلمية

الجواب: الاستدلال يكون بالحقائق العلمية المستقرة، مع التأكيد على أن القرآن ثابت والعلم متغير في أدواته.

الاعتراض الثاني: القرآن ليس كتاب علوم

وهذا صحيح من حيث الأصل، غير أن الإشارات الكونية الواردة فيه جاءت للاستدلال على قدرة الله تعالى، لا لتقديم مقررات علمية.

الذاتة

خلص البحث إلى أن الإعجاز العلمي في خلق الإنسان يُعد من الوسائل المهمة في تعزيز العقيدة الإسلامية، متى ما استُخدم ضمن ضوابط شرعية ومنهجية واضحة، وأن القرآن الكريم قد أشار إلى حقائق كونية وإنسانية بأسلوب موجز ودقيق، يتوافق مع ما استقر عليه العلم الحديث، دون أن يفقد خطابه الهدي والتربوي.

التائج

١. الإعجاز العلمي مجال معتبر في خدمة العقيدة الإسلامية إذا ضُبط منهجياً.
٢. آيات خلق الإنسان تمثل نموذجاً واضحاً لانسجام الوحي مع السنن الكونية.
٣. توظيف الإعجاز العلمي يسهم في مواجهة بعض الشبهات الفكرية المعاصرة.

التوصيات

١. العناية بالتأصيل العقدي لموضوع الإعجاز العلمي.
٢. إدراج موضوعات الإعجاز العلمي في المناهج الشرعية بضوابط علمية.
٣. توجيه الباحثين إلى الاقتصار على الحقائق العلمية القطعية.

المصادر والمراجع:

١. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
٢. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م
٣. الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
٤. الإسلام يتحدى: مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، القاهرة: مكتبة الرسالة، ٤.
٥. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام حمدان اللوح، غزة: آفاق للطبع والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
٦. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، وعبد الجواد الصاوي، الرياض: دار جيا، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
٧. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من منظور علوم الرياضة، مؤيد محمد أمين الجاف، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.
٨. الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، أحمد المرسي حسين جوهر، المنصورة: مكتبة جزيرة الورد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
٩. إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، مجموعة من الباحثين، مكة المكرمة: هيئة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، ١٤٢١هـ
٩. الإلحاد: وسائله وخطره وسبل مواجهته، صالح بن عبد العزيز السندي، الرياض: دار اللؤلؤة، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م
١٠. الإمام الشوكاني: حياته وفكره، عبد الغني قاسم غالب الشرجي، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد
١١. الإنسان والعلم والإيمان، مؤيد يحيى الدباغ، بيروت: مؤسسة الريان، ط١، ٢٠١١م.
١٢. أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، إسطنبول: دار الفنون التركية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م
١٢. الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، دمشق: دار السلام، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ
١٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، الرياض: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لجنة من العلماء، القاهرة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٣٩٣-١٤١٤هـ

التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، القاهرة: مكتبة وهبة. ١٦.

تقريب فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن ناصر الطيار. ١٧.

تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم علي البهنساوي، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

٢٠. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

٢١. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٢٢. الدلالات العقدية للآيات الكونية، عبد المجيد بن محمد الوعلان، الرياض: دار ركانز، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٢٣. ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، محمد ياسين، دمشق: مكتبة الإيمان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، مكتبة الشاملة. ٢٤.

٢٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ

٢٦. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

٢٧. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ

٢٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، بولاق: المطبعة السلطانية، ١٣١١هـ.

٢٩. عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، الرياض: مكتبة السوادي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، بيروت: دار الهلال. ٣٠.

٣١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، القاهرة: المكتبة السلفية

٣٢. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين المقدسي (ت ٩٢٧هـ)، بيروت: دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ٣٣.

٣٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

٣٥. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٦. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ

٣٧. لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ

عجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ. ٣٩.

٤٠. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ

٤١. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، المدينة: مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ.

٤٢. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دمشق: دار المكتبي، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٤٣. الموسوعة القرآنية المتخصصة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

٤٤. نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد بن صالح العثيمين، مكة: دار الثقة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني.